عدد خاص
الكتابة والخط

المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة
تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة - وزارة الثقافة
المجلد التاسع والعشرون - العدد الاول - ٢٠٠١م/١٤٢٢هـ

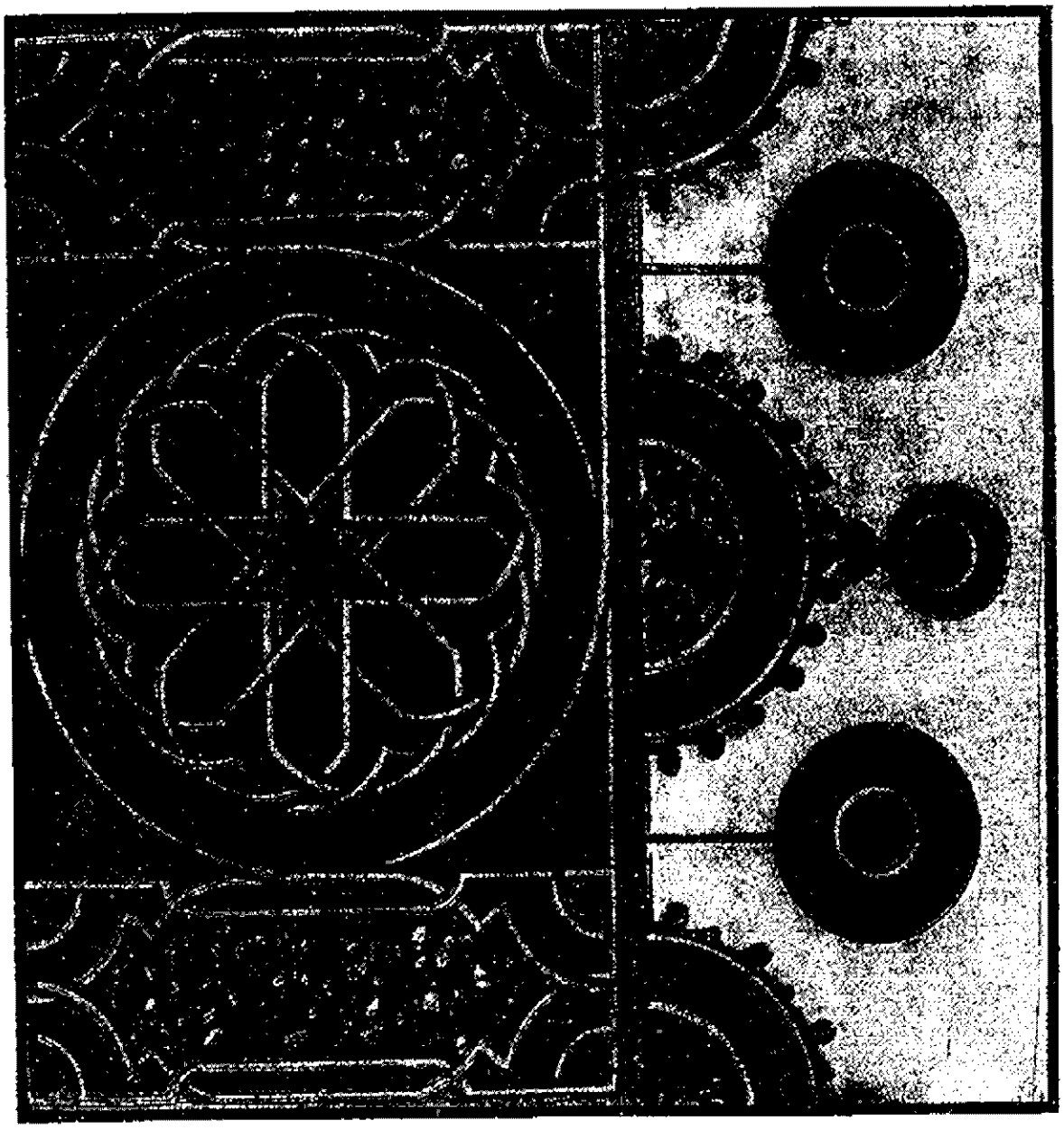

www.dorat-ghawas.com

المحتوى

■ المورد

الكتابة ... تميز الفعل المشهود ..... د . محمد البكاء ٢

■ بحوث ودراسات

فجر التدوين المعرفي ..... يعقوب افرام منصور ..... ٤ ـ ١٣

كتابة الصورة ..... د . حنا بقاعين ..... ١٤ ـ ٢٢

الكتابة والتطور الحضاري في العراق القديم ..... ترجمة / كاظم سعد الدين ..... ٢٣ ـ ٣١

التعليم في العراق القديم ..... أ . د . أحمد مالك الفتيان ..... ٣٢ ـ ٣٦

صور التعليم والحياة العلمية في الحضارة العربية الاسلامية ..... أ . د . مروان عبد الملك ..... ٣٧ ـ ٤٨

كتب وماصنع منها في القرآن الكريم ..... د . محمد عبد المطلب البكاء ..... ٤٩ ـ ٥٨

الكتابة في عصر ماقبل الاسلام ..... أ . د . محمود الجادر ..... ٥٩ ـ ٦٥

المعجم الوجيز في مصطلحات الكتابة ..... أ . د . عناد غزوان ..... ٦٦ ـ ٧٣

كتب القبائل وبواعث تدوينها ..... د . احمد اسماعيل النعيمي ..... ٧٤ ـ ٨١

ما كتب على الصيون ..... عبد القادر التحافي ..... ٨٢ ـ ٩٠

تطور الخط العربي في العراق ..... اسامة ناصر النقشبندي ..... ٩١ ـ ٩٥

الخط العربي في المكتبة الشرقية ..... ا . د . حسين علي محفوظ ..... ٩٦ ـ ١٠٠

الاصلاح والجمالية في الخط العربي ..... أ . د . ناهض عبد الرزاق ..... ١٠١ ـ ١٠٩

الخط الكوفي نو الشرفات ..... د . نسيبة محمد الهاشمي ..... ١١٠ ـ ١١٩

صناعة الحبر عند العرب ..... ناجي محفوظ ..... ١٢٠ ـ ١٢٧

■ نصوص محققة

شرح قصيدة ابن البواب ..... يوسف ذنون ..... ١٢٨ ـ ١٤٥

بليوغرافيا الخط العربي ومايتصل به ..... اعداد ـ حسن عربيي الخالدي ..... ١٤٦ ـ ١٥٦

في المكتبة ..... عرض د . هدى شوكت ..... ١٥٧ ـ ١٦٠

www.dorat-ghawas.com

الخط الكوفي ذو الشرفات

أ . م . الدكتورة نسيبة محمد الهاشمي
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

مع الجيوش العربية الاسلامية القادمة لتحرير العراق من الطغمة الساسانية التي كانت تحكمه .. وصل الخط الحجازي[1] وبعد ان مصرت مدن العراق البصرة سنة ١٥ / هـ ٦٣٦ م ، ومدينة الكوفة سنة ١٧ / هـ ٦٣٨ م .. في زمن الخليفة عمر بن الخطاب « رض » شاع استعمال الخط الحجازي[2] .. القادم من الحجاز من مكة والمدينة .. فالخط الذي كان يستعمل في مكة يسمى الخط المكي نسبة الى مكة .. والخط المدني الذي كان يستعمل في المدينة يسمى الخط المدني نسبة الى المدينة المنورة .. وفي البصرة يسمى الخط الذي استعمله اهل البصرة بالخط البصري .. وفي الكوفة ايضاً سمي بالخط الكوفي[3] .. حيث كانت تسميات المدينة بالخط قبل عصر النبوة هو الشائع .. فكان هناك الخط النبطي لانه وصل الى بلاد العرب من ديار الانباط حيث لعبت التجارة دوراً رئيساً مهماً في نقل الخط .. ومارس عرب الجزيرة مهنة التجارة مع الانباط ..

ونسب الخط الحيري الى مدينة الحيرة في العراق .. وعن طريق دومه الجندل وصل الى مكة والمدينة وسمي باسميهما[4] . ففي مدينة الكوفة ولد الخط الكوفي وعني اهل الكوفة ببراعته وتجويده .. واستحسنوا الكتابة به[5] ... لا سيما وان الكوفة كانت المركز السياسي والفكري والحضاري والديني خاصة بعد ان اتخذها الامام علي (كرم الله وجهه) و « رض » حاضرة للخلافة الراشدة بعد ان ترك المدينة المنورة .. وانتقل اليها .. ومن مدينة الكوفة انتقل هذا الخط الى الاصقاع الاسلامية والتي اتسعت فيما بعد شرقاً وغرباً[6] .

وكتبت بالخط الكوفي المصاحف .. والعملة .. وزينت الجدران وشواهد القبور .. والكتابات التذكارية .. في حين بقي الخط اللين لكتابة الدواوين والمراسلات والاستعمالات الرسمية للدولة .. وذلك للمرونة التي يتمتع بها والسهولة والسرعة في الكتابة .

ونتيجة لاهتمام الخلفاء بالخط والكتابة[7] .. وما للدين الاسلامي من دور كبير في الحث على الكتابة والتعلم والقراءة .. فكانت العناية بكتابة القرآن الكريم من قبل الخلفاء عظيمة من اجل الحصول على الحظوة الدينية[8] .. نتيجة لهذا الاهتمام الكبير .. فقد تعددت صور الخط الكوفي القادم مع المهاجرين المسلمين في بداية امره .. ونال قسطاً كبيراً من التجويد والبراعة في مدينة الكوفة .. ويعزو بعض المؤرخين نسبة هذا النوع من الخط الى مدينة الكوفة الى طبيعة المواد البنائية المستعملة في هذه المدينة الا وهو الاجر المقولب حيث استخدم في تنفيذ الكتابات على الجدران حيث لا توجد هناك اي مشكلة وخاصة ان يعتمد في تشكيل الحروف على الخطوط العمودية والافقية والزوايا[9] .

في الوقت الذي بنيت فيه مدينة الكوفة كانت هناك ثقافات ارامية وتدمرية وسريانية وخطوطهم كما هو معروف من الفصيلة السامية . ولابد ان تكون الكوفة قد تاثرت بهذه الكتابات من حيث الشكل العام للحروف[10] .

المهم ان في مدينة الكوفة تنوعت اشكال الخط وتعددت صوره .. واضيفت اليه اللمسات الجمالية .. حيث وجد الفنان المسلم امكانية استغلال هذه الحروف المتعامدة منها .. والافقية .. وانها مناسبة لتكوين زخارف هندسية ونباتية .. والمرونة التي تتمتع بها لتقبل مثل هذه الزخارف فاستغلها خير استغلال وابدع من ابتكار صور جديدة لهذا الخط الذي يعتمد المسطرة والزاويا في اعداده[11] .

لقد تربع هذا الخط على عرش الخطوط العربية الاخرى لمدة اربعة قرون من الزمن .. اذ كان هو المعول عليه في كتابة المصاحف حتى حل محله فيما بعد خط اخر هو خط النسخ[12] .

لقد طفت شهرة الخط الكوفي في الافاق واصبح مشتقاً من اسم مدينة الكوفة .. وكانها لم تنجب خطاً سواه[13] .. فقد وصل الخط الكوفي في نحو اربعة قرون الى جمال زخرفي لم يصله اليه خط اخر في تاريخ الانسان قاطبة[14] وكان في انتشاره وزخرفته في القسم الشرقي من الامبراطورية الاسلامية اوفر واخصب واغنى واعظم شاناً من تلك الزخارف التي لازمته في القسم الغربي من

www.dorat-ghawas.com

العالم الاسلامي[١٥] .

وكما ذكرت سابقاً حيث تعددت صور الخط الكوفي في مدينة الكوفة ونال قسطاً كبيراً من الاهتمام والتجويد والبراعة وهندسة اشكاله . واصاب حروفه كثير من التغيير ومن الاصل الذي ولدت منه . وكان في بدايته يمتاز بسمة الجفاف[١٦] وكان خالياً من اي ضرب من ضروب الزخرفة ـ وكان ميالاً للتربيع والتضليع والتناسق والتناسب والرشاقة[١٧] .. كما امتاز بخلوه من النقط وبدوره هذا يكون مشتقاً من الخط الحميري[١٨] . وكان يكتب على المواد الصلبة كالحجر والخشب والمعادن .. وتتضمن الكتابات الايات القرآنية والعبارات الدينية والادعية .. واحياناً اسم الصانع او الفنان .

ان اليبوسة والصلابة والجفاف وكل السمات التي ذكرتها قبل قليل واعتماد المسطرة والزوايا كل تلك اكسبت الخط الكوفي طابعاً هندسياً[١٩] جعلت منه خطاً يحفر ويستوعب الكثير من افكار الفنان المسلم . حيث اتجه الفنان الى زخرفة هذا الخط والذي استخدم في مجالات فنية كثيرة ونجده يفرض نفسه على كافة المجالات الفنية التي نفذها الانسان فنجد فضلاً عن تدوين القرآن به ـ واهتمام الخلفاء بتزويقه وتنميقه فنجده لا يخلو من عمائر دينية ومدنية .. فضلاً عن الاستعمالات الاخرى في المعادن والانسجة ـ والخشب والسجاد ـ الخ . لقد وجد الفنان ان الحروف العربية اصلح واوفق من غيرها من الحروف بما فيها من استقامة وتقوير وانبساط .. فضلاً عن الخطوط العمودية والافقية .. ان هذه الحروف تتميز بسهولة تحويرها وايصالها برسوم وزخارف اخرى من دون ان يؤثر ذلك على معانيها ـ بل يكسبها نوعاً من الجمال والابداع الفني .

لقد كان فضل الدين الاسلامي كبيراً جداً على الخط العربي .. ووجد فيه المسلم عنصراً يعبر عما في نفسه وطبيعته من تذوق واحاسيس فنية فوظفها وبكل طاقاته لهذا الفن وخدمته ـ في حين يؤبى عليه ان يعبر عن احاسيسه الفنية في ميادين اخرى مثل التصوير او النحت وخاصة المجسم منه ـ وتصوير الكائنات الحية لموقف الاسلام الحذر من هذه الفنون فانصرف الفنان بل معظم الفنانين المسلمين الى التجويد في الخط والابداع فيه .. وترك التصوير والنحت جانباً[٢٠] .

اذ لم يبلغ اهتمامهم بها قدر الاهتمام العظيم بالخط فادى رجحانه كفة الخط وطغيانها على حساب الفنون الاخرى فبرع وتطور الخط العربي ـ وبرز خطاطون كان لهم الابداع والشهرة العظيمة في الخط .

لقد تجلت قدرة الفنان المسلم في ابداع صور الخط الكوفي واضاف تشكيلات زخرفية قوامها عناصر هندسية ونباتية اليه ـ فاضحى مبتكراً في هذا المجال ـ وناهيك عن هذا كله .. فقد عمد الفنان في كتابة الخط الكوفي الى التلاعب بتكرار الكلمة ـ او جعلها بوضع مقلوب او متعاكس او داخل اطر هندسية ـ مضلعة ـ مستطيلة ـ مربعة ـ دوائر .. فزادها جمالاً وبراعة ـ وابرزت هذه الجوانب العبقرية الفنية التي اتسم بها الفنان المسلم في مجال الخط وجعلت منه ارفع منزلة في مكانة الفنانين في العالم الاسلامي[٢١] .

ان الخط العربي لم ينل عند الامم ممن شهدت لهم بالحضارات العريقة ما ناله عند الامة الاسلامية من الحظو والعناية والاهتمام ـ لقد كان في بدايته وسيلة للتدوين والمعرفة .. ثم ما لبث ان البسته الامة لباساً قشيباً من الزخارف والفنون[٢٢] .

وانتشر الخط شرقاً وغرباً والى البلاد المفتوحة .. وانتشرت اللغة العربية لاقامة شعائر الدين الجديد .. وتعلم القرآن وتعاليم الاسلام ـ فتعلم اللغة العربية من دخل الاسلام ليتعلم قراءة القرآن واصول الدين الجديد فتعلم اللغة العربية ورأت بعض الامم ان تحتفظ في ظل الاسلام بلغاتها ولكي تيسر على من دخل الاسلام ان تكتب لغاتها بالحروف العربية وبذلك نجد ان الخط العربي حل محل الخط البهلوي في ايران ـ وحل محل الخط الاوردي في الهند واستعمل في كتابة اللغة الاسبانية بين المدجنين في الاندلس واستعمل في كتابة اللغة التركية العثمانية عندما اعتنقوا الاسلام والى سنة ١٩٢٤ م حيث اتخذ مصطفى كمال اتاتورك الحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية[٢٣] .

لقد افلح العرب في فرض لغتهم على معظم الاقاليم التي اصبحت ضمن الامبراطورية الاسلامية واستطاعوا ان يحولوا تلك الاصقاع الى كتابة لغتها بالخط و الحروف العربية[٢٤] . فقد كانت بلاد فارس وخراسان وازربيجان وبلاد ما وراء النهر تابعة الى الكوفة .

لقد كان الخط عند المسلمين غرضاً مقصوداً لذاته .. وليس وسيلة كما هو عند الامم الغربية[٢٥] .

وكان اهتمام الفنان بالخط الكوفي انه اضاف الكثير من اللمسات الجمالية الفنية لهذا النوع من الخط فورق وشجر وزهر . واستغل هامات الحروف ونهاياتها وحملها بسيقان وفروع .. وساد العالم الاسلامي زخرفة الخط الكوفي السائد في العراق .. ففي مصر يرجع اكساب الخط الكوفي زخرفته الى اواخر القرن الثاني للهجرة[٢٦] . وازداد انتشاراً في العالم الاسلامي في القرن الرابع للهجرة .. وبلغ قمة التالق الفني والنضج في القرنين الخامس والسادس / هـ[٢٧] وبهذا تعددت اشكاله ومنها :

الخط الكوفي البسيط ـ القديم .
الخط الكوفي المورق .
الخط الكوفي المزهر .
الخط الكوفي المضفور .
الخط الكوفي المربع .
الخط الكوفي الصوري .

www.dorat-ghawas.com

الخط الكوفي الدائري .
الخط الكوفي ذو المثلثات .
الخط الكوفي القبطي العربي .
فضلاً عن وجود خطوط اخرى كالشطرنجي والفاطمي . والايوبي والمملوكي [٢٨] .

وهنا يجدر بي ان اقدم نوعاً من الخط الكوفي المزخرف بنوع من الزخارف الهندسية .. والذي لم يدرس من قبل الا وهو الخط الكوفي ذو الشرفات والذي وجد غالباً على العمائر في العراق وشرق العالم الاسلامي وتركيا ..

والشرفات هي حليات عمارية توضع في اعالي القصور والمدن وتعد من العناصر العمارية وتستعمل للاغراض الدفاعية ونظراً للجمالية التي تتمتع بها استعملت في مختلف الفنون التطبيقية[٢٩] .. كالخزف والفخار والمعادن والانسجة والعاجيات ولتزيين الخط الكوفي الذي نحن بصدده .

استعملت الشرفات هذه لتزيين الحروف العربية .. بدون استثناء .. مثل حرف الالف واللام والكاف .. والسين والشين .. والتاء المربوطة . وكانت بطبقات متدرجة وبزوايا قائمة تتناسب وطريقة كتابة الحروف الكوفية التي تعتمد على المسطرة والزوايا .

وان ما وصل الينا من العراق لهو نادر جداً من هذا الصنف من الخط بل هو يكاد يكون نموذجاً واحداً من مسجد علي الهادي في مدينة سامراء .. جسدت كتابة كوفية مربعة ومتكررة فيها كلمة « يا علي » في الاركان اربع مرات[٣٠] .. أنهى الفنان حرف الياء فيها على شكل مدرجات هرمية تكون اشبه ما يكون بالمعين المتدرج بزوايا قوائم في الوقت الذي اطرت كل كلمة من الكلمات الاربعة تشكيلة هندسية تعتمد على الشرفات في تكوينها وبزوايا قوائم (الشكل ١) ومن الجدير بالذكر ان الروضة العسكرية في مدينة سامراء تضم ضريحي علي الهادي وابنه حسن العسكري .. وكانت وفاة علي الهادي سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م ووفاة ابنه العسكري سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م ودفن في داره ودفن ولده الى جانبه في قرية عسكر .. وبعد ان افل نجم مدينة سامراء العاصمة العباسية الثانية .. وبمرور الزمن نجد ان بناء الضريح يزداد اتساعاً شيئاً فشيئاً واقام ناصر الدولة الحمداني بناء جديدا يعلوه قبة سنة ٥٣٥ / هـ ١٤٠ / م وصادف ان شب حريق في البناء حيث امر الخليفة العباسي المستنصر بالله بتجديد البناء واهتم بامر سرداب الغيبة .. وتعرضت هذه الروضة على مرور الزمن وادخلت عليها عناصر عمارية فنية جديدة حسب طراز كل عصر والبناء الحالي مؤرخ بـ ١٢٢٥ / هـ ١٨١٠ / م .

على ان جامع المهدي جدد من قبل الخليفة العباسي المشهور الناصر لدين الله سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ / م ... وتوجد كتابة تذكارية مؤرخة على شباك الغيبة وجدده فيما بعد الخليفة المستنصر بالله كما ذكر سابقاً[٣١] .

السبب في قلة الادلة المادية على وجود مثل هذا الخط ، الدمار الذي حل بالعراق نتيجة الغزو البربري الذي الح هولاكو .. والفيضانات التي تعرض لها العراق .. وتقادم الزمن وتجديد العمائر من دون مراعاة الطراز المعمارية القديمة .. كل ه ادت الى دمار المخلفات والعمائر وان هذا النوع من الخط الكو لقي رواجاً كبيراً في الاجزاء الشرقية من العالم الاسلامي .. فـ مدينة سامراء[٣٢] تزين الكتابات الكوفية ذوات الشرفات بدن مئذ اسطواني الشكل .. قوام الزخارف في هذه المئذنة عبارة عن انط تدور حول البدن متفاوتة الاتساع مختلفة الزخارف من تشكيلا هندسية وكتابية واشرطة ضيقة منفذة بالجفر على الاجر والتلاعب بوضع الاجر وباختلاف مستوياته (شكل ٢) . بعض تالف ومتآكل والبعض الاخر يمكن تميز الزخارف والخطوط ف والذي يهمنا هو الشريط الاسفل الذي يدنوه شريط من شرفا هرمية مدرجة . يعلو هذا الشريط شريط من الكتابة الكوفية ذا الشرفات تبدو الحروف الوسطية وهي مزينة بشرفات هرمية مدر منه[٣٣] وبزوايا قوائم المئذنة مؤرخة سنة ٥٠٤ / هـ ١١١٠ ،

وبعد هذا التاريخ يتجلى لنا الخط الكوفي ذو الشرفات « ضريح تيمور لنك من » مدينة سمرقند من « مدينة الموتى »[جوار مير بني سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م .. يتخذ الضريح ش قاعة صليبية الشكل داخل مثمن تقوم عليه اسطوانة عظي تحمل قبة مضلعة اعظم .. تتميز بفلوها في الارتفاع وباضلاع التي تشبه الحبال المربوطة التي تتدلى من القبة والمتلاص جذباً الى جنب وبقطاع محدب .. لتنتهي بصفوف من المقرنص الصغيرة .. ان القبة باضلاعها الستة عشر[٣٥] مكسوة بالقراء الخزفية المزججة باللون الازرق والذهبي[٣٦] والمزينة بتشكيلا زخرفية قوامها عناصر هندسية ونباتية . ومستندة على ر اسطوانية الشكل وطويلة هي الاخرى مزينة بالقراميد الخز المزججة والمزينة بالخط الكوفي ذي الشرفات مما يضفي ع القبة جمالاً عدها من اروع العمائر الدينية الاسلامية .

ان ارتفاع الرقبة في هذه القبة اعطى مجالاً خصباً للفنان ل يعمل تشكيلات زخرفية مختلفة لتزيين هذا البدن . وقسمها ا اشرطة متفاوتة الاتساع . فعمل منها تشكيلات هندسية ومضلع تدور حول البدن خلال اشرطة اعرضها شريط كتابي بال المذكور اعلاه ونصه « البقاء لله » وبصورة متكررة (شكل ٣ لقد زينت الشرفات الهرمية المدرجة هامات حرف الالف واللام ر اربع طبقات بزوايا قوائم ورؤوسها الى الاعلى .. في الوقت ال زينت الشرفات الهرمية المدرجة نهايات الحروف من الاس لحروف الالف واللام ايضاً .. والحروف الوسطية ـ الباء ـ والذ ولكن من ثلاث طبقات مدرجة وبزوايا قوائم .. وفي نسق زخ جميل ربط الحروف مع بعضها مثل الالف بالقاف بشرفة هر مدرجة ولكن قمتها من الاسفل .. تتخلل هذه الكتابات كتا

www.dorat-ghawas.com

اصغر منها قوامها الله محمد وتشكيلات زخرفية ذات طابع هندسي قوامها شرفات هرمية مدرجة بصفوف مرصوفة جنباً الى جنب وبشكل شريط اخر اصغر منها يدنوها (شكل ٤) .

لقد كان الخراب يتبع جيوش تيمورلنك اينما حلت ويخلق الدمار اينما حل ـ وكان في قسوته وجبروته مضرب الامثال ولم تكن حروبه دينية بل ان كل الضحايا كانوا من المسلمين وقد دمر من المدن دهلي وشيراز وبغداد ودمشق[٣٧] الا انه اتخذ من سمرقند عاصمة له وكان يطمح في ان يجعلها عروس الشرق في المدنية والفنون ـ فكان يستقدم العمال المهرة من الاقاليم المختلفة لتجميل عاصمته[٣٨] او بعبارة اخرى انه استعمل « الليتورجيا »[٣٩] والتي بفضلها زينت البلاد في عصره بالابنية الجميلة ذات الطرز المختلفة من الاقاليم . من مساجد ومشاهد واشتهرت ايضاً بمدافن تضم عدداً من اضرحة اسرة تيمورلنك عرفت باسم « شاه زند » والملك الحي[٤٠] ـ واهم المدافن هو مدفن تيمورلنك السالف الذكر .. لقد شيد هذا المدفن في اول الامر لابن اخ تيمورلنك عام ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م ثم دفن تيمورلنك فيه بعد وفاته ـ بفضل هذه المدافن اصبحت مدينة سمرقند فريدة في مدائن الاموات في العالم .

ومن مدينة مشهد حيث مسجد الشاه والذي يمتاز بزخارفه المنفذة على القراميد الخزفية .. ويمتاز باشرطته الكتابية من الخط الكوفي المزين بالشرفات الهرمية المدرجة من « ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ » طبقات وزوايا قوائم والكتابة بالخط الازرق المتدرج والخلفية باللون الاصفر الذهبي (شكل ٥) علماً ان المسجد يرقى بزمنه الى القرن[٤١] ٨ هـ / ١٤ م .

ومن مشهد ايضاً حيث جامع جوهر شاد والمؤرخ بتاريخ ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م ـ والذي يتميز بتناسب الاجزاء المختلفة[٤٢] ويعتمد تخطيطه على الاواوين الضخمة والمزينة واجهاتها بتشكيلات زخرفية ملفتة للنظر . (وجوهر شاد هي زوجة « شاهرخ[٤٣] ابن تيمورلنك) باشراف المهندس قوام الدين الشيرازي ويتبع في تخطيطه على نظام الاواوين الاربعة[٤٤] والتي امتازت بها العمارة التيمورية ـ وكذلك الاهتمام بعمارة المداخل المكتنفة بالمآذن على هيئة ابراج تزيد من عظمة البناء ـ وتكسوه الجدران بالقراميد الخزفية يتجلى الخط الكوفي نو الشرفات في تزيين سقف الايوان الجنوبي والذي يتخذ شكل القبو المدبب ـ والمزين بالقراميد الخزفية مهيئة اطارا يحيط بمجاميع زخرفية بهيئة جامات مضلعة في داخلها كتابات كوفية تحيطها اشرطة زخرفية قوامها عناصر هندسية ومن الكلمات المنفذة بالخط الكوفي الله لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن الجبار المتكبر الخ . وتبدو حروف الالف واللام مزينة بالشرفات الهرمية المدرجة والمتكونة من ثلاث طبقات وبزوايا قوائم الشريط ياخذ شكل سقف الايوان (شكل ٦ ـ ٧) استغنى الفنان عن استعمال الشرفات في الحروف الوسطية والاخيرة .

ومن القرن ٩ / هـ ـ ١٥ م . تطل علينا بقايا مئذنة مدينة « هراة »[٤٥] الاجزاء السفلية المتبقية من المئذنة مكسوة بالقراميد الخزفية وتشكيلات زخرفية وكتابية داخل اشرطة تدور حول البدن ، الشريط الكتابي منفذ بالخط الكوفي ذي الشرفات الهرمية المدرجة من اربع طبقات وبزوايا قوائم استعملت الشرفات في تزيين جميع الحروف وتكون قممها الى الاعلى في حروف الالف واللام والى الاسفل في الحروف الوسطية (شكل ٨) .

ومن الجدير بالذكر ان شاه رخ (٨٠٧ ـ ٨٥١ هـ) (١٤٠٥ ـ ١٤٤٧) م ابن تيمورلنك والذي خلفه بعد وفاته نقل مركز الحكم الى مدينة هراة وجعلها عاصمة جديدة باقليم خراسان والواقعة قرب الحدود الافغانية[٤٦] .

ومن مخلفات الاسرة الصفوية في ايران مسجد الجمعة في اصفهان والذي يؤرخ ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م ـ واستمر البناء فيه لمدة ثمانية عشر عاماً . والذي يعد من افخم المساجد والذي يمتاز بجمال وضخامة وفخامة تخطيطه .. ويعتمد في تخطيطه على نظام الاواوين[٤٧] والقاعات المقببة والصحن الوسطى المحاط بالمباني من طابقين وعقود مدببة ويتوسط كل ضلع ايوان مفتوح ملحق به قاعة تعلوها قبة[٤٨] .

يمتاز الجامع بوفرة الزخارف وتنوعها والمنفذة على القراميد الخزفية التي تغشي جدرانه .

وتبدو لنا الكتابة الكوفية المزينة بالشرفات من بين كتابات كبيرة في الجامع (شكل ٩) ـ نص الكتابة « الله اكبر الله »[٤٩] مكررة وتبدو حروف الالف واللام والكاف والباء والراء والتاء المربوطة كلها متوجة بالشرفات الهرمية المدرجة منه ثلاث الى خمس طبقات وبزوايا قوائم .

علماً ان الشاه عباس نقل مقر الحكم الى مدينة اصفهان في نهاية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي .. وعمل على تعمير وتجميل المدينة بحيث اصبحت من ازهر مدن الشرق[٥٠] .

واما مسجد الشيخ لطف الله في مدينة اصفهان والذي يرقى بزمن تشييد الى سنة ١٠١١ ـ ١٠٢٨ هـ ـ ١٦٠٢ ـ ١٦١٨ م .. فهو يختلف في تصميمه عن مسجد الشاه .. فهو يعتمد في تخطيطه على غرفة كبيرة تعلوها قبة ويخلو تخطيطه من نظام الاواوين والصحن الوسطي .. وتغطي جدرانه من الداخل والخارج القراميد الخزفية المزججة .. القبة فيه من النوع المزدوج وهي صغيرة من الداخل وكبيرة ومرتفعة من الخارج .. القبة تستند على رقبة اسطوانية مزينة بنوافذ محلاة بستائر جصية مفرغة قوامها تشكيلات زخارفها عبارة عن عناصر نباتية بهيئة فروع نباتية متصلة من النوع المووف (الاريسك)[٥١] (شكل ١٠) النوافذ هذه تقطع اشرطة زخرفية هندسية .. وشريطاً كتابياً من الخط الكوفي ذي الشرفات تبدو فيه بعض الكلمات يا الله فاطمة

www.dorat-ghawas.com

والحسين وقد زينت الشرفات الهرمية المدرجة الحروف مثل الالف واللام والطاء والفاء والسين وربطت الشرفات بين الحروف الوسطية ايضا وتتراوح طبقاتها من ثلاث وخمس وست طبقات بزوايا قوائم .

ورؤوسها احياناً الى الاعلى وفي حرف الميم الى الاسفل (شكل ١١) يعد مسجد لطف الله[٥٢] من احسن الامثلة في تنفيذ القراميد الخزفية ذات الزخارف النباتية المتصلة واستخدم فيها اللون الاصفر كارضية .

واما في تركيا فقد وصلت الينا بعض الكتابات المنفذة بالخط الكوفي ذي الشرفات من بعض القصور العثمانية المختلفة في مدينة استانبول ـ من جزء من قصر يعرف بقصر « جينيلي كشك »[٥٣] وكان هذا القصر قد شيد خارج المدينة وهو محاط بسور خارجي مدعم بابراج وبوابات ويتكون البناء او السراي هذا من ثلاثة مبان ذات شرفات مغطاة يحيط بكل منها افنية مختلفة (شكل ١٢) ـ وينسب القصر هذا الى زمن السلطان محمد الثاني ويرقى بزمنه الى سنة ٨٧٧ / هـ ١٤٧٢ / م ـ وان التوسع الذي حصل ادى الى ازالة الكثير من اجزاء البناء ـ واقدم جزء هو من بناء المهندس الفارسي كمال الدين ١٤٧٢ م . وقد زينت كتابة كوفية من النوع المعروف بالخط الكوفي ذي الشرفات عقد البناية ونصها « توكلت على خالقي » وهي منفذة بالقراميد الخزفية المزججة باللون الاصفر (شكل ١٣) كما وصلت الينا قطعة من النسيج التركي تزينها كتابات بالخط الكوفي وخط الثلث استعملت في تزيين حروف الشرفات الهرمية المدرجة والقطعة مؤرخة سنة ١٢٠٨ هـ / ١٧٩٣ / م نص الكتابة الكوفية فيها والمزينة بالشرفات : « لا اله الا الله محمد رسول الله » ابو بكر وعثمان وعلي وعن بقية الصحابة اجمعين[٥٤] .

تبدو الشرفات الهرمية المدرجة وهي تزين رؤوس حروف الالف واللام وتزين حروف الميم والحاء والدال والواو ـ رتبت الكتابات في مثلثات وفق نسق مرتب جميل وتختلف في الاحجام في صفوف متوازية . (شكل ١٤) .

الان ـ وبعد كل هذا العرض ـ يتضح ان الخط الكوفي هو الخط الذي ابتكر في مدينة الكوفة وانتسب اليها عن طريق التسمية كما هو شائع قديماً حسب تسمية المدن ـ وانه وصل اليها مع الجيوش العربية الاسلامية التي جاءت لتحرير العراق ـ وللاسباب السياسية والعسكرية مصرت مدينتا البصرة والكوفة كمستقر للجيوش العربية ـ القادمة من مكة والمدينة (الحجاز) .

يعتمد هذا الخط على المسطرة والزوايا في تنفيذه ـ ولكون الفنان المسلم لا يحب اليبوسة والجفاف والجمود والذي كان يعتمده الخط الكوفي في بداية امره وفضلاً عن ان الفنان المسلم يكره الفراغ في نتاجاته الفنية فعمل على تطوير وتجويد وابداع هذا الخط فاكسبه والبسه حلة قشيبة من التشكيلات الزخرفية الهندسية والنباتية والصورية والشرفات هي احدى العناصر الهندسية التي اضافها الفنان العربي المسلم الى هذا الخط من اجل الجمال والابداع والتغير .

والشرفات عناصر عمارية كانت بلاد وادي الرافدين هي الاولى في هذا الميدان ولها السبق في ابتكار هذه العناصر العمارية للتحصينات الدفاعية وفي الفنون التطبيقية ـ ومن ثم انتشرت واقتبست من قبل دول العالم القديم كبلاد عيلام وبلاد النيل ـ وبلاد الشام ـ

كما ان الاجر الذي استخدم في البناء في بلاد ايران كان من ابتكار انسان بلاد وادي الرافدين ايضاً وظهر ذلك لاول مرة في ابنية الوركاء الطبقة الخامسة لتغطية الارضيات في في حدود (٣٠٠٠) ق . م واستعمل في بناء الجدران في عصر فجر السلالات (٢٨٠٠) ق . م ومن ثم شاع استعماله وانتشرت صناعته في الاقطار المجاورة[٥٥] .

والقراميد المزججة هي المعروفة بقطع الاجر والتي يكون وجهها الخارجي مطلياً بطبقة من السائل الزجاجي وتودع في الفرن ثانية للحصول على آجر مطلي بطبقة من هذا السائل حيث يعمل الفرن على التصاق السائل الزجاجي بالاجر التصاقاً وثيقاً وتتميز بالصلابة ومقاومة الرطوبة والمنظر الجميل ـ استعملت القراميد المزججة في العصر الاشوري في تزيين عمائر وبوابات العواصم الاشورية في خرسباد ونمرود وفي مدينة بابل وبوابة عشتار وقاعة العرش من العصر البابلي الحديث[٥٦] فالسبق يكون لفنان بلاد وادي الرافدين في ابتكار القراميد المزججة والتي استمرت قيد الاستعمال عبر العصور القديمة ووصولاً الى العصور الاسلامية حيث استعملت وهي مزينة بالتشكيلات الزخرفية او الخط العربي .

واستعمل الخط الكوفي نو الشرفات في العراق في ضريح هادي العسكري في مدينة سامراء ... ومن الارجح انه استعمل في العمائر في مدينة بغداد وبقية مدن العراق الا ان الاسباب التي ذكرت سابقاً ادت الى ضياع وتلف المباني وعدم وصولها صالحة الينا لنتمكن من دراستها بشكل واضح . واستعمل الخط ايضاً في عمائر بلاد ايران في العصور الاسلامية وانتقل الى اواسط اسيا سمرقند والى تركيا ـ اي انه انتشر الى شرق وشمال العالم الاسلامي ولم ينتشر غرباً ولم يصل الى الاندلس ـ ولم تظهر لنا المباني المصرية هذا الضرب من الخط الكوفي .

لقد كان فضل الدين الاسلامي وتعلم القرآن ونشر مبادىء الدين الجديد الفضل الكبير في انتشار الخط العربي وانواعه واستعملته الكثير من الشعوب في كتابة لغتهم ـ ووجدوا فيه مجالاً خصباً للابداع والتجويد والزخرفة والمرونة التي تتمتع بها الحروف العربية من دون ان يغير من معانيها ـ فاضاف اليه الفنان اللمسات الجمالية عن طريق التشكيلات الزخرفية المتنوعة ـ والاشكال الحية ـ

www.dorat-ghawas.com

لقد كانت جميع الشرفات التي استعملت في تزيين الخط الكوفي من نوع الهرمية المدرجة وبزوايا قوائم اي ما يرسم بالمسطرة والزوايا مثل الخط الكوفي . فاكسبته صيغة هندسية جديدة بالاضافة الى الصفة الهندسية التي يتمتع ويتميز بها .

لقد كانت الدرجات الهرمية تتراوح ما بين ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ طبقات وزيدت الشرفات الهرمية المدرجة الحروف الالف واللام والحروف الوسطية والتاء المربوطة وكانت قمتها تتجه الى الاعلى او الى الاسفل او احياناً تستعمل في حرف الالف واللام .

ولذلك يكون فضل العرب والدين الاسلامي كبيرا وكبيرا جداً على العالم .

■ الهوامش والمصادر :

١ ـ لمزيد من التفصيل ينظر :
الجبوري ـ سهيلة ياسين ـ الخط العربي وتطوره في العصور العباسية بغداد ـ مطبعة الزهراء ـ ١٩٦٢ / ٩ وما بعدها .
مرزوق محمد عبد العزيز ـ الفن الاسلامي ـ تاريخه وخصائصه ـ بغداد مطبعة اسعد ـ ١٩٦٥ ـ ١٨ وما بعدها و ١٧١ .
جمعة ابراهيم دراسة في تطور الكتابة الكوفية على الاحجار في مصر في القرون الخمسة الاولى للهجرة ـ القاهرة ـ المطبعة العالمية ١٩٦٩ / ١٧ وما بعدها .
المنجد ـ صلاح الدين ـ دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته الى نهاية العصر الاموي ـ بيروت ـ دار الكتاب الجديد ١٩٧٢ / ١٢ الجبوري ـ اصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الاموي بغداد ـ ١٩٧٧ .

٢ ـ مرزوق ـ المصدر السابق / ٤٠ .
٣ ـ ٤ ـ جمعة ـ المصدر السابق / ١٩ .
٥ ـ صالح ـ عبد العزيز حميد ـ ونفتر ناهض عبد الرزاق ـ العبيدي صلاح حسين ـ الخط العربي ـ الموصل مطبعة التعليم العالي ١٩٩٠ / ١٨٠ .
٦ ـ الجبوري ـ ١٩٦٢ / ٣٥ ـ جمعة ـ المصدر السابق / ٨٦ .
٧ ـ حسن ـ زكي محمد ـ فنون الاسلام ـ القاهرة ـ مطبعة لجنة التاليف والنشر ١٩٤٨ ط١ / ٣٢٦ .
الجبوري ـ ١٩٦٢ / ٢٨ ـ ٢٩ .
المصرف ـ ناجي زين الدين ـ مصور الخط العربي مكتبة النهضة بيروت ١٩٤٧ / ط ٢ / ٣٣٩ .
مرزوق ـ العراق معهد الفن الاسلامي ـ مديرية الثقافة العامة ـ وزارة الاعلام ـ ١٩٧١ / ٤٠ .
٨ ـ حسن ـ المصدر السابق / ٢٣٧ .
٩ ـ علام ـ يوسف محمود ـ الفن في الخط العربي ـ المملكة العربية السعودية ـ اشراف مديرية الاثار والمتاحف ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م / ٣٨ .
١٠ ـ جمعة ـ المصدر السابق / ٢٧ .
١١ ـ ١٢ ـ صالح واخرون ـ المصدر السابق / ١٠٨ .
١٣ ـ جمعة / المصدر السابق / ٢٠ .
١٤ ـ ١٥ ـ حسن / المصدر السابق / ٢٣٤ ـ ٢٣٧ .
١٦ ـ جمعة / المصدر السابق / ٢٠ .
١٧ ـ حسن ـ المصدر السابق / ٣٢٦ ـ صالح واخرون ـ المصدر السابق / ١٠٩ .
١٨ ـ ضمرة ـ ابراهيم ـ الخط العربي ـ جذوره وتطوره ـ الاردن الزرقاء مكتبة المنار ١٩٨٤ / ٨٨ .
١٩ ـ ٢٠ ـ حسن ـ المصدر السابق / ٢٣٧ ، ٢٣٤ .
حتي ـ فيليب وادور جرجي وجبرائيل جبور ـ تاريخ العرب دار غندور للطباعة والنشر ١٩٧٤ ط ٥ / ٤٩٤ ـ ٤٩٥ .
٢١ ـ حسن ـ المصدر السابق / ٣٤٦ .
٢٢ ـ المصرف ـ المصدر السابق / ٣١٥ .
٢٣ ـ مرزوق ـ المصدر السابق / ١٧ / ١٨ .
٢٤ ـ ٢٧ ـ حسن ـ المصدر السابق / ٢٣٥ ـ ٢٣٧ ـ ٢٣٨ .
٢٨ ـ حسن ـ المصدر السابق / ٢٣٨ وما بعدها ـ جمعة ـ المصدر السابق / ٤٥ وما بعدها صالح واخرون المصدر السابق ١١٣ و ١١٨ و ١٢٨ و ١٣٤ و ١٣٨ .
العبيدي صلاح حسين ـ التعليم ووسائله في الاثار العربية الاسلامية مجلة كلية الاداب ع ٢٧ (عدد خاص بمحو الامية) ص ٩٩١ .
ضمرة ـ المصدر السابق ـ ٨٨ ـ ٨٩ .
الحسيني محمد باقر ـ الخط اسلوبه وانواعه ومميزاته على النقود الاسلامية في العهد السلجوقي ١ ـ ٢ ـ سومر م ٢٤ ـ ١٩٦٨ / ١٠٢ .
٢٩ ـ لمزيد من التفصيل ينظر : الهاشمي نسيبه الشرفات ظهورها وتطورها حتى سنة ٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨ م ـ بغداد ١٩٩٥ ـ اطروحة دكتوراه .
٣٠ ـ المصرف ـ المصدر السابق ـ شكل (٢٩٧ ـ هـ) ـ ٩٠ و ـ ٣٤٠ .
٣١ ـ سلمان ـ عيسى ـ وعبد الخالق ـ هناء ـ والعزي ـ نجلة ـ ويونس نجاة ـ العمارات العربية الاسلامية في العراق ـ الجمهورية العراقية ـ ١٩٨٢ ـ ٢ / ٢٨ ومابعدها .
٣٢ ـ POPE AR ITHUR — URHAM — ASURVEY OF PERSIAN ARTI FROM PREHISTORIC TIMES TO THE PRESENT , AMERICAN 1930 VOL , VIII 358 . A ,

www.dorat-ghawas.com

٣٣ ـ مرزوق ـ المصدر السابق / ٨٨ .
٣٤ ـ حسن ـ المصدر السابق / ١٠٢ .
٣٥ ـ كوتل ـ ارنست ـ الفن الاسلامي ـ ترجمة ـ احمد موسى ـ دار صادر بيروت ـ ١٩٦٦ ـ ٨٨ ـ علام ـ نعمت اسماعيل ـ فنون الشرق الاوسط في العصور الاسلامية ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٧٧ ـ ط ٢ / ١٦١ .
٣٦ ـ مارسيه جورج ـ الفن الاسلامي ـ ترجمة عفيف بهنسي مراجعة عدنان البني ـ منشورات وزارة الثقافة دمشق ـ مطابع الجيش ادارة التوجيه المعنوي / ١٧١ .
٣٧ ـ علام ـ المصدر السابق / ١٥٨ .
٣٨ ـ حسن ـ المصدر السابق / ١٠٢ .
٣٩ ـ مرزوق ـ المصدر السابق / ٨٧ .
٤٠ ـ علام ـ المصدر السابق / ١٦١ كوتل ـ المصدر السابق / ٨٨ .
٤١ ـ كوتل ـ المصدر السابق / ٨٠ ـ مهرجان العالم الاسلامي ـ ٥٠ ـ ٢١ P 21 — 50 .
٤٢ ـ حسن ـ المصدر السابق / ١٠٣ ـ حسن الفنون الايرانية في العصر الاسلامي ـ مطبوعات دار الاثار العربية بالقاهرة ط٢ ١٩٤٦ / ٣٢ .
٤٣ ـ علام ـ المصدر السابق / ١٦٠ .
٤٤ ـ مارسيه ـ المصدر السابق / ١٧٢ .
٤٥ ـ Pope Ibid 373 B
٤٦ ـ علام ـ المصدر السابق / ١٥٨ .
٤٧ ـ مارسيه ـ المصدر السابق / ٢٣٥ .
٤٨ ـ علام ـ المصدر السابق / ٢٠٥ .
٤٩ ـ المصرف ـ المصدر السابق / ٣١٣ شكل ٥ ـ ١٦ .

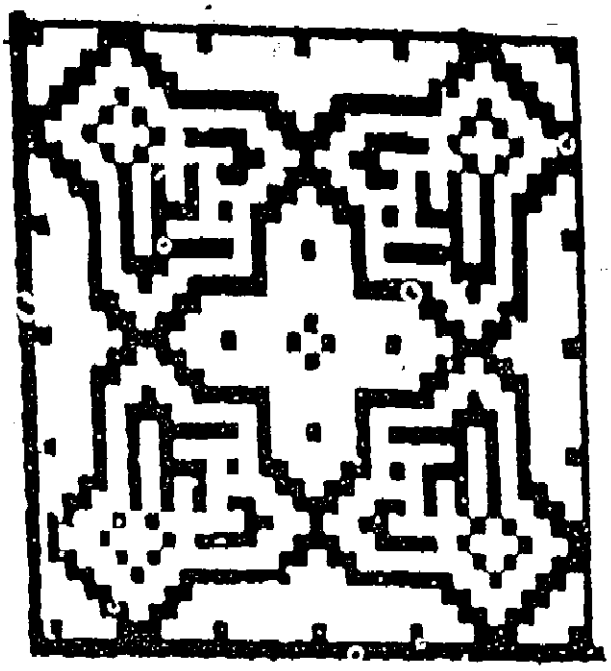

(شكل ١)

٥٠ ـ حسن ـ المصدر السابق / ١٩٤٨ / ١٢٤ .
٥١ ـ علام ـ المصدر السابق / ٢٠٦ .
٥٢ ـ — Pope Ibid 483
علام ـ المصدر السابق / ٢٠٨ .
٥٣ ـ علام ـ المصدر السابق / ٢٢٩ شكل ٢٩٨ ـ كوتل ـ المصدر السابق / ١٦٨ و ١٧٠ .
٥٤ ـ المصرف ـ بدائع الخط العربي وزارة الاعلام ـ بغداد مديرية الثقافة العامة ـ ١٩٧٢ / ٧٥ شكل ٧٢ ـ و ٤٤٩ .
٥٥ ـ الدليمي ـ عادل عبد الله ـ مواد الانشاء في العمارة العراقية القديمة مركز احياء التراث العلمي العربي ٢٦ / ٢ / ١٩٩٠ / ٩٥ ـ ٩٦ .
٥٦ ـ بارو ـ اندريه ـ بلاد اشور ـ ترجمة وتعليق ـ عيسى سلمان وسليم طه ـ دار الرشيد للنشر والجمهورية العراقية ـ ١٩٨٠ ـ ٢٣٩ الهاشمي ـ المصدر السابق / ١٦٤ .

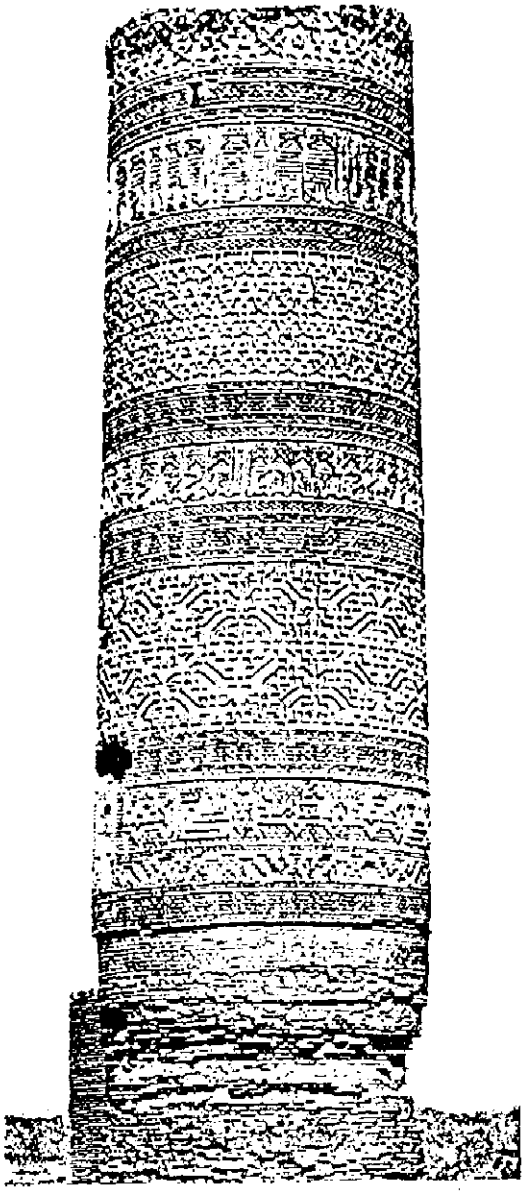

(شكل ٢)

www.dorat-ghawas.com

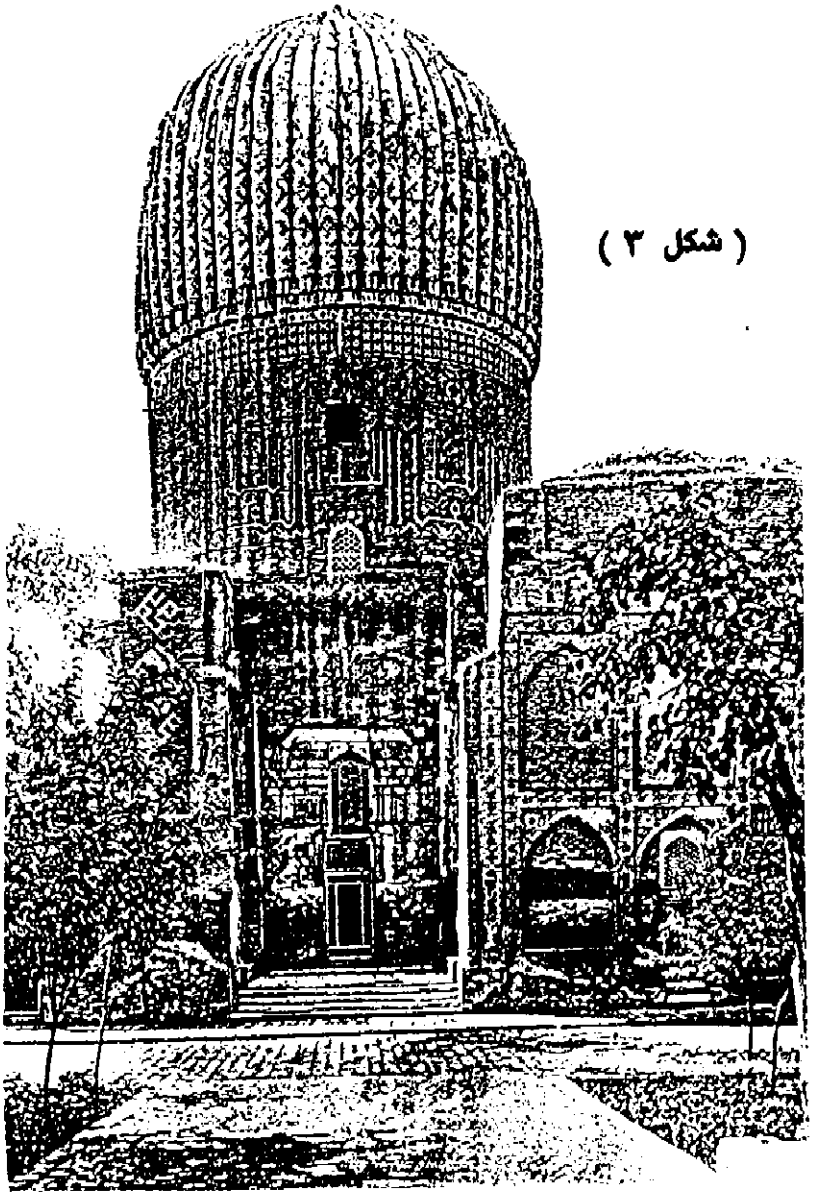

(شكل ٣)

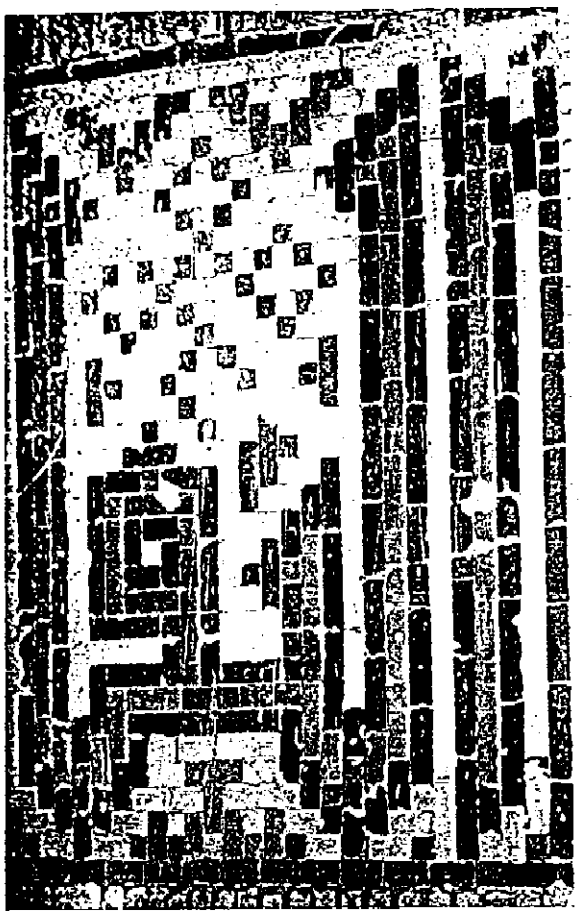

(شكل ٥)

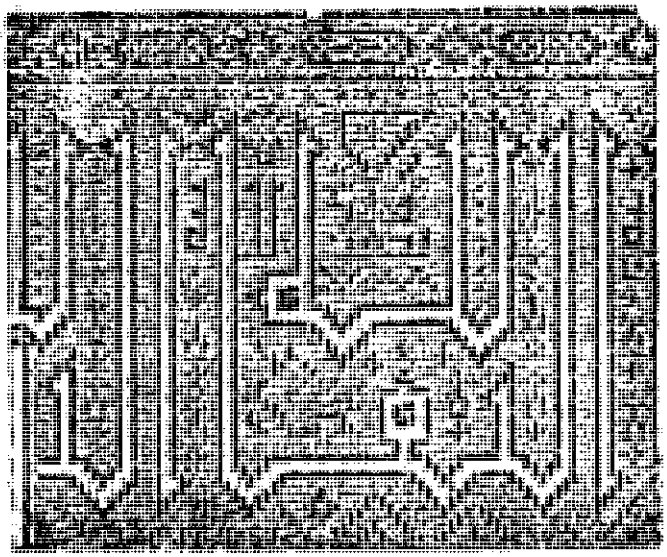

(شكل ٤) كتابة كوفية مكونة من الكاشاني المربع الملون من ضريح « تيمور لنك » في سمرقند سنة ٨٠١ هـ

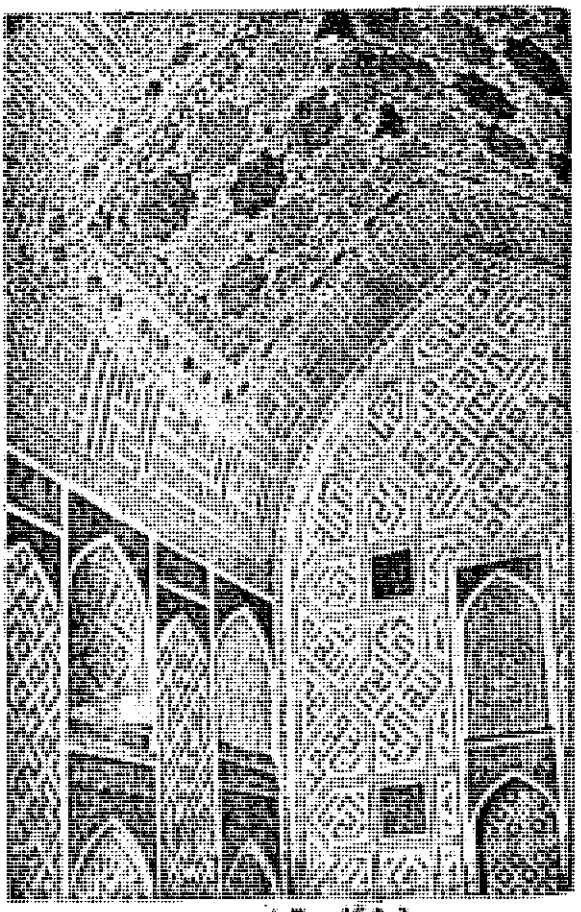

(شكل ٦)

www.dorat-ghawas.com

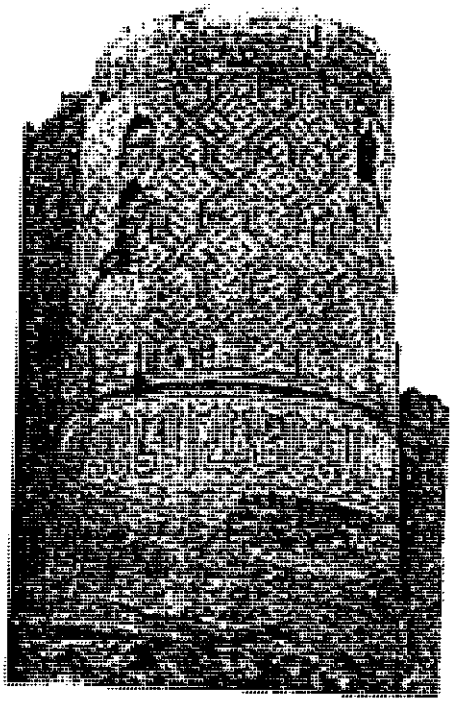

(شكل ٨)

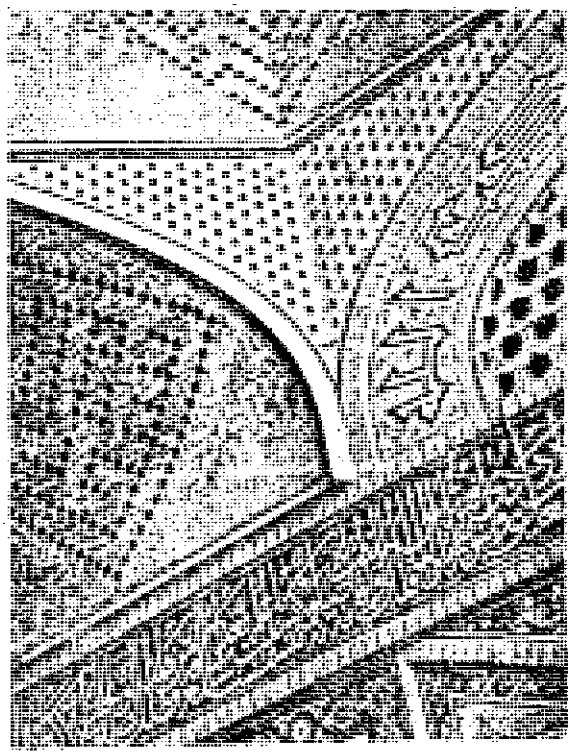

(شكل ٩)

(شكل ١٠)

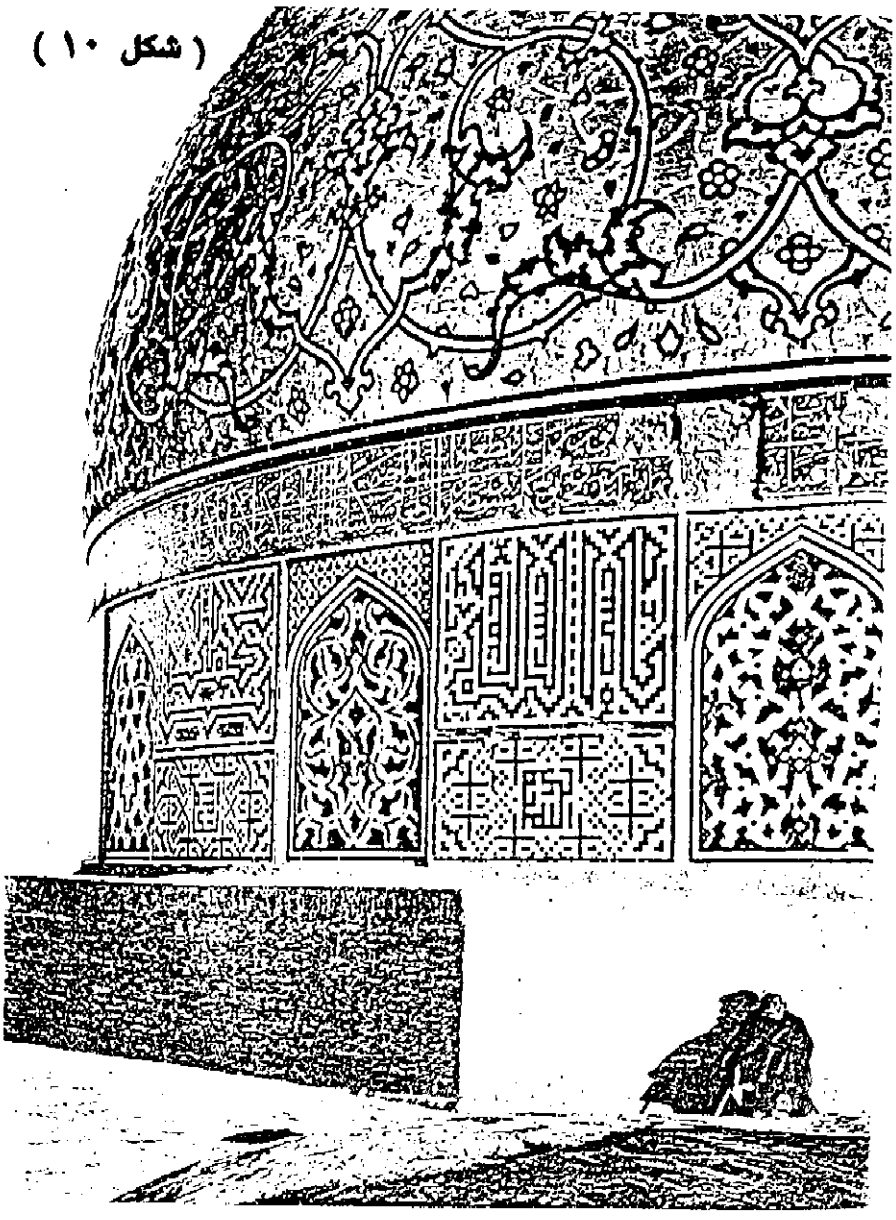

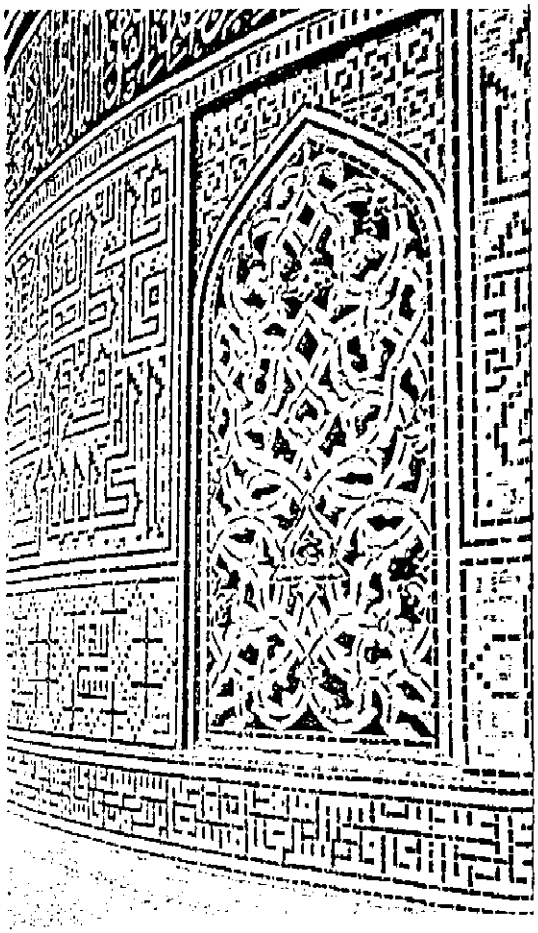

(شكل ١١)

www.dorat-ghawas.com

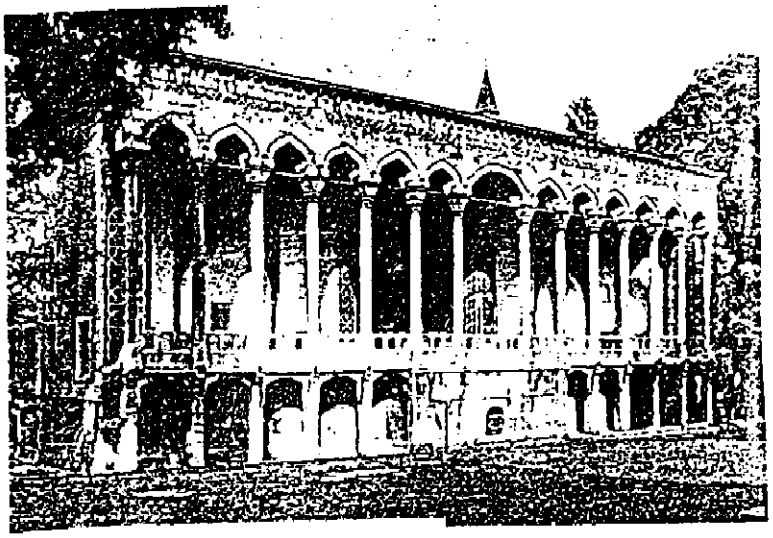

(١٢) قصر « جينيلى » ، من عهد السلطان محمد الثاني ، عام ٨٧٧ هـ ـ ١٤٧٢ م . اسطنبول ، العصر العثماني .

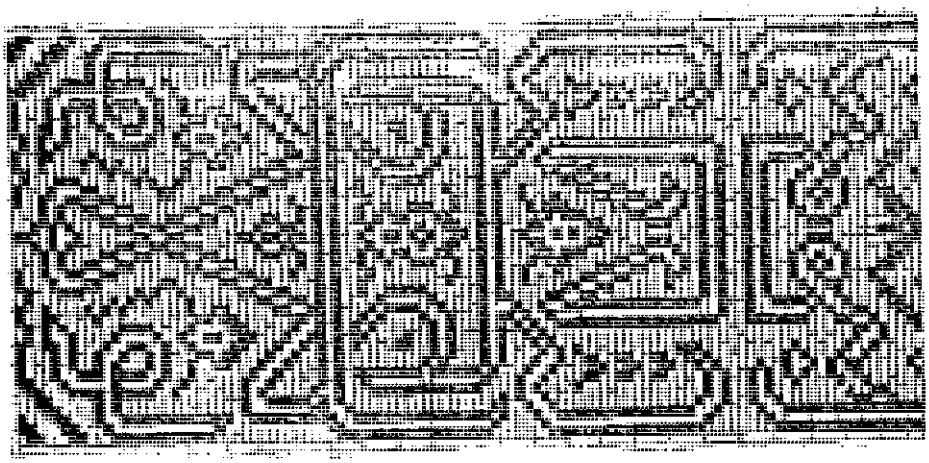

(شكل ١٣) كتابة كوفية زخرفية باسلوب تناظري متقابل نصها : « توكلت على خالقي » وهي من طاق بوابة چينيلى كوشك في استانبول ـ تركيا .

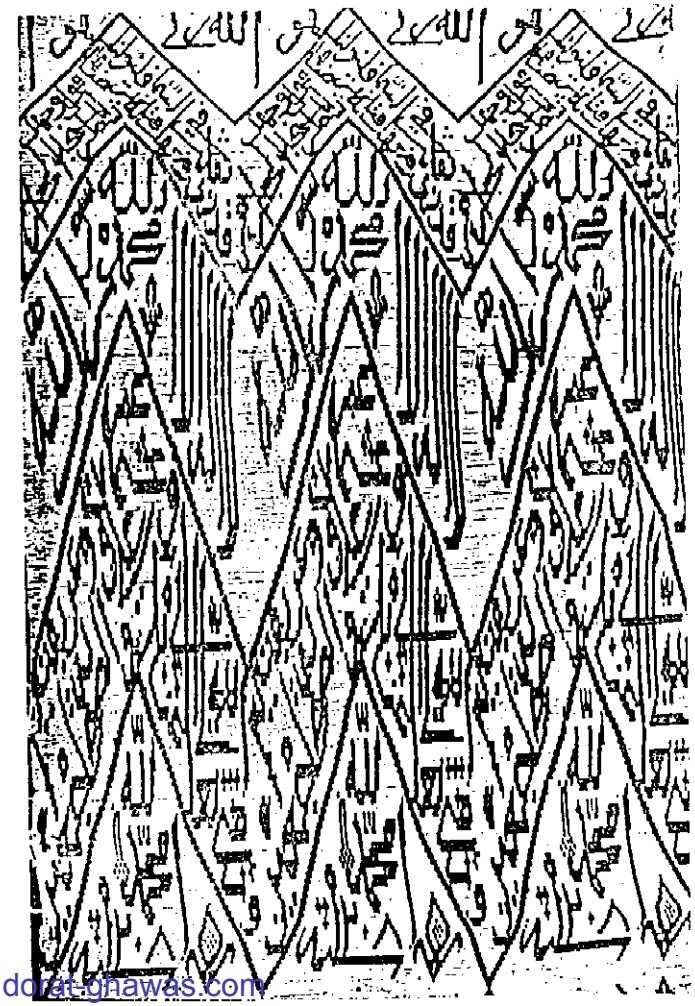

شكل رقم (١٤)

www.dorat-ghawas.com